

قضية

كنزة الصفيوي
تتذكر

طويل القامة، يغالبه الحياء، مرة حالم، ومرة يراقب التفاصيل المحيطة حاملاً سيجارة. هكذا تتذكره كنزة الصفيوي. صُوِّرَهُ الفوتوغرافية تحفظ رجالاً بعيون هاربة يضع نظارات ذات إطار مربع، يخفي جزءاً كبيراً من وجهه، كأنه خرج لتوه من الستينيات. ولد لفتح عام 1946 وعاش في الدار البيضاء قبل الانتقال إلى باريس. كان تلميذ قامة أخرى في الأدب المغربي، هو إدمون عمران المليح الذي درّسه في ثانوية «مولاي يوسف» الشهيرة في الرباط.

أبدى في مرحلة باكورة من شبابه اهتماماً باللغة الفرنسية رغم متابعتة لتخصص العلوم. انتقل للعيش في باريس نهاية الستينيات، وعاش أيار (مايو) 1968 والحلم الطلابي بعالم أفضل. ومنذ ذلك الحين، لأزمته لوثة الأدب. كان يكتب دائماً قصائد ونصوصاً يتركها للنسيان، بسبب الشك في قيمتها الأدبية، خلال لحظات السكر.

بروي العمل قصة
كابتن متقاعد منالجيش المصري
يكشف ميوله
المثلية

وهو يترقّب هذا النص المعجزة أثناء دراسته في فرنسا. بعد عودته إلى المغرب مطلع السبعينيات، عمل مهندس معلوماتية، وكتب في بعض الصحف. اخترع لنفسه حياة جديدة، وسط المهتمين في حانات «السفانكس»، و«الدون كيشوت»، حيث شرب حتى الثمالة. خزن في ذاكرته صوراً للناس وأماكن، قبل أن يصدر باكورته «أنسات نومديا» (1992) التي تدور أحداثها في أحد مواخير الدار البيضاء، بعد سنوات من رفض دور النشر الكبيرة لمخطوطاته. وبعد سنوات (2000)، هاجر إلى مصر. في أحد البرامج، تحدث عنه مغربي آخر هو سليم الجاي، المقيم في فرنسا. وصفه صاحب «معجم الكتاب المغربية» بأنه أحد أعظم الأعلام المغربية، وأسف لأن الرجل فارق الحياة! اتصل لفتح بالجاي ليخبره أنه حي يرزق، وأرسل له مخطوطات أدبية، دعم الجاي نشرها عند «لا ديفرانس» الفرنسية منذ عام 2006، واستمر في ذلك بعد رحيل صاحبها... ومنها «سعادة الهضاب»، و«وردة في الليل»، و«المعركة الأخيرة للكابتن نعمت»... فهل يتمكن القارئ المغربي من قراءتها يوماً؟

المعركة الأخيرة للكابتن نعمت» أثار لغطاً كبيراً. لكن مثقفين وجامعيين وإعلاميين مغاربة انتصروا للكاتب، منهم عبد اللطيف اللعبي، وأحمد بوزفور، والظاهر بن جلون، ومحمد بصاد، وهشام فهمي، وياسين عدنان، سائلين في بيان أصدره أخيراً: «هل نحن أمام منع حقيقي، أم خطأ فظيع في حق كاتب لم تنصفه المؤسسة الرسمية حياً ولا ميتاً». واستنكر البيان «هذا الإجراء الذي يمثل مساً خطيراً بحرية الفكر والتعبير في المغرب، والذي ينم أيضاً عن احتقار سافر لذكاء القارئ المغربي وتعطشه للمعرفة».

الكاتب الراحل اختار أن يبحر عكس السائد، ويعيش ويكتب على هامش القيم المهيمنة. كان يتنازع «شكر الشك، شكر اللابيقين، السكر النائر». تصف الصفيوي حالته القصوى

المعركة الأخيرة للكابتن محمد لفتح

المؤسسات الثقافية المغربية. تدور رواية «المعركة الأخيرة للكابتن نعمت»، حول شخصية القبطان الذي يعيش مع زوجته ميرفت في حي بورجوازي، ويتمتع بحياة مترفة في ناد قاهري، مع رفاقه السابقين في الجيش. يكشف الرجل الستيني حياً خفياً للشباب الذين يتلقون حول المسبح، قبل أن يمارس الجنس مع خادمه إسلام. وبعد البحث والسؤال، تبين أن المحتوى الإشكالي للكتاب دفع الموزع المغربي إلى أن يتجاهله، ويحرم القراء إياه. لكن المنع لم يكن معلناً، بل بقي لغزاً، إلى أن اكتشفته الصحافة المغربية بالتدريج...

أثناء حفلة توزيع الجائزة، حضر الجميع، من وزير الثقافة المغربي بنسالم حميش، إلى وزير الثقافة الفرنسي الأسبق جاك لانغ. لكن الغائب الأكبر كان العمل بحد ذاته. صحافيون مغاربة مهتمون بالأدب اتصلوا بالمكتبات الكبرى، لكن الكتاب لم يكن موجوداً على رفوفها. اتصلوا بعدها بالموزع الرئيسي للمكتب الفرنسية في المغرب، ليكتشفوا أنه اشترى كمية من مزوده الفرنسي، ثم ألغى الطلبية! تجهيل المسؤول الحقيقي عن غياب

المثقفين. تمنح «جائزة المامونية» بمبادرة من أحد الفنانين المغربية الشهيرة، وتبلغ قيمتها 200 ألف درهم (نحو 27 ألف دولار)، وهي مخصصة لتكريم الأبداء المغربية الذين يكتبون باللغة الفرنسية. وأثناء إعلان نتيجتها مطلع تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، سأل صحافي فرنسي من مجلة «لير» اللجنة: «من هو محمد لفتح؟»، وفي مشهد عيب، صمت جميع أعضاء اللجنة من دون إجابة. ولولا حضور الصحافية والناقدة كنزة الصفيوي، لتحوّلت المهزلة إلى فضيحة! تحدّث الاختصاصية في أدب لفتح بإسهاب عن الروائي الذي ولد عام 1946 في مدينة سطات (72 كيلومتراً جنوبي الدار البيضاء) قبل أن ينتقل بين مدن عدة حول العالم، وينتهي أمامه في منفاه الاختياري في القاهرة. عن العاصمة المصرية تحديداً، كتب لفتح عمله الإشكالي، وبطله كابتن طيران متقاعد في الجيش المصري، يكشف ميوله المثلية. الرواية جاءت صادمة للمحافظين، لكنها تندرج ضمن خيار أدبي خطه الراحل بلا يهان أحداً؛ إذ كان لفتح هامشياً بمحض اختياره، وكاتباً كبيراً تجاهلته

«جائزة المامونية» أعادت الأديب المغربي الراحل إلى دائرة السجال في بلاده، بعدما اكتشف الجمهور أن أعماله الإشكالية مغيبة عن المكتبات. الوقائع الغريبة في اختفاء «الكابتن نعمت»...

الرباط - محمد الخضير

بعد ثلاثة أعوام على رحيله، عاد محمد لفتح (1946 - 2008) إلى الضوء بطريقة غريبة. خبر منع روايته «المعركة الأخيرة للكابتن نعمت» (بالفرنسية عن دار «لا ديفرانس») شغل المثقفين المغربية، بعدما اكتشفوا أن العمل الحائز أخيراً «جائزة المامونية» في دورتها الثانية، غير متوافر في الأسواق المغربية. هل هي محض مصادفة أن تختفي الرواية من السوق، بعدما تجرّت وزارة الثقافة من قرار منعها؟ ليس الأمر كذلك على ما يبدو؛ إذ أصدرت المجلة الأسبوعية الناطقة بالفرنسية «أكتويال»، ملقاً خاصاً عن الرواية يدين المنع المقنع، قبل أن تتوالى ردود الأفعال المنوّدة في الصحف المغربية وفي أوساط

شردناه في حياته... ونغثاله بعد رحيله

الرباط - عماد استينو

باتت الرقابة تنفذ حتى إلى التوايبت، ولغة المنع تصل حدّ حظر أعمال مبدعين ودعوا الدنيا وضجيجها. والمثال الأخير (وليس الوحيد) على ذلك، ما تفجّر حول قضية اختفاء رواية «المعركة الأخيرة للكابتن نعمت» للروائي الراحل محمد لفتح. الجهات الحكومية في المغرب لم تبد أي مبررات موضوعية حول حجب الرواية، رغم أن مصادر مقربة من وزارة الثقافة أكدت أنه لا قرار منع رسمياً؛ وزارة الاتصال المغربية لا تجيب عن استفسارات

بورجوازية
مهزومة عاجزة
عناي تغيير في
بنية المجتمع



فوق المحرّمات... إنها رحلة الكابتن نعمت الأخيرة، وآخر حروبه الدونكيشوتية الخاسرة. الشاعر والإعلامي المغربي الزميل ياسين عدنان قال لـ «الأخبار»، تعليقاً على المنع: «طيف لفتح بهمسسه المهذب يحاصرني ونحن نحكي عن مغرب حرّ نستحقّه ويستحقّه لفتح في الحضور والغياب». وأضاف: «لقد تذكرت كيف كان مهتماً بأن يقرأ في المغرب، وكان سعيداً لأننا اكتشفناه ولو متأخرين في المغرب متحمساً للمزيد من العودة إلى الحضن الثقافي المغربي (...). لذلك نرفض رفضاً قاطعاً أن يقتل لفتح من جديد نرفض أن يغتال صوته وتغتال حياته الأدبية ميتاً بعدما شردناه حياً».

فحص للمجتمع المصري وبسائل البورجوازية المصرية المهزومة العاجزة عن إحداث تغيير حقيقي في بنية المجتمع. تاريخ مليء بالتردد والخيانة والرضى بالحلول الوسط والانهازامية. من تعودوا أن يقرأوا محمد لفتح الذي بالكاد يعرفه المغاربة، لم تفاجئهم جرأة الرواية، وقفرها

محاولة لإدانة ثقافة اللاتسامح، بنبرة مأساوية، تغدو صلاة جنازية. تتقلب حال الكابتن نعمت بين الفصول الثلاثة للرواية بين الاضطراب والحب والسعادة، لينتهي إلى مال حزين عنوانه السقوط والانحطاط. بعد عيشه حلمه «العلماني»، وخوضه في المحرّمات في ما يشبه «عودة المكبوت»، مع خادمه النوبي ومع مدلك النادي، تطلب زوجته ميرفت الطلاق. يغادر الكابتن منزله الراقي بعد تهديدات من متطرفين بتصفيته بسبب ميوله المثلية، لينتهي في عزلة عجوزاً مدمناً الكحول. من خلال الرواية، يحاول لفتح إجراء

كثيرة وردت إليها من وسائل الإعلام وفاعلين في المشهد الثقافي... فالأمر ليس من أولوياتها. الصحافي هشام فهمي كتب في جريدة «الشروق» المغربية أنه اتصل بوزير الإعلام المغربي خالد الناصري مستفسراً عن أخبار منع دخول الرواية إلى الأراضي المغربية بسبب جرأتها، فكان رد الوزير المغربي بالحرف: «أنا أهتمّ بالقضايا الكبرى للبلاد لا بالتفاهات»، ثم أغلق الهاتف. في رواية «المعركة الأخيرة للكابتن نعمت»، يمزج محمد لفتح بين اللذة المتقدمة والتشاؤم. يقتحم عوالم الطبقة البورجوازية القاهرية، ليكشف عن طابعه التقليدي المحافظ معتمداً أسلوباً أدبياً يجمع الشعاعية والصرامة معاً، في